حق الحياة وبناء الإنسان في القرآن الكريم

دراسة أصولية مقاصدية

إعداد الدكتور

محمد كامل محمد عبد الرحيم

مدرس القرآن الكريم واللغة العربية

بمنطقة الجيزة الأزهرية

حق الحياة وبناء الإنسان في القرآن الكريم
دراسة أصولية مقاصدية

محمد كامل محمد عبد الرحيم

مدرس القرآن الكريم واللغة العربية بمنطقة الجيزة الأزهرية

البريد الإلكتروني: mohmedkameltanda@gmail.com

ملخص البحث:

حقُّ الحياةِ في القرآن هو الحقُّ الأعلى للإنسان، وهذا الحقُّ هو المقصودُ الأعظمُ في الشرائع كلِّها، ولا تخفى ضرورة رعايته وأثره في بناء الإنسان، ويهدف هذا البحث إلى بيان حق الحياة وبناء الإنسان في محكم الكتاب العزيز، وتفعيل المنهج القرآني في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان، وتتجلى مشكلة البحث في سؤالين أصليين، هما: ما حقُّ الحياةِ وبناء الإنسان في القرآن الكريم؟ وما منهج القرآن الكريم في رعاية هذا البناء الإلهي وذلك الحق الإنساني، وتعتمد الدراسة على عدة مناهجَ علمية، هي المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة، في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وحدوده، ومنهجه، وفي التمهيد بيان مفاهيم العنوان، المبحث الأول حق حياة الإنسان في القرآن الكريم، وفيه ستة مطالب، المطلب الأول: حق الحياة في نصوص القرآن، والمطلب الثاني حق الحياة في سنن الله تعالى في القرآن، والمطلب الثالث حق الحياة في القصص القرآني، والمطلب الرابع حق الحياة في الأمثال القرآنية، والمطلب الخامس حق الحياة في الأساليب العربيةِ القرآنية، والمطلب السادس حق الحياة في أحكام القرآن، وأما المبحث الثاني فعنوانه بناء الإنسان في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب، المطلب الأول الإنسان في نصوص القرآن، والمطلب الثاني بناءُ الإنسانِ في المبادئ القرآنية، والمطلب

الثالث بناءِ الإنسان في الأساليبِ العربية القرآنية، والمطلب الرابع بناءُ الإنسانِ في المقاصدِ القرآنية، المطلب الخامس بناء الإنسان في أحكام القرآن، وفي الخاتمة أهمُّ النتائج والتوصيات، ومن أهمِّ تلك النتائج أنَّ حقَّ الإنسانِ في الحياةِ الآمنةِ الكريمةِ مقصدٌ كليٌّ من مقاصدِ القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: حق الحياة، بناء الإنسان، أساليب القرآن، قصص القرآن، أمثال القرآن، أحكام القرآن.

The Right to Life and Human Development in the Holy Quran: A Goal-Oriented Study on the Fundamentals of Religion

Mohamed Kamel Mohamed Abdel Rahim,

Teacher of Arabic and the Noble Qur'an at Al-Azhar, Giza, Egypt.

Email: mohmedkameltanda@gmail.com

Abstract:

The right of life in the Qur'an is the highest right for man, and this right is the greatest goal of all laws, so it is necessary to take care of it since its impact on building man is obvious. The research problem consists in two original questions: What is the right to life and human development in the Holy Qur'an? What is the approach of the Holy Qur'an in caring for this divine structure and this human right? The study relies on several scientific approaches, namely the inductive approach, the descriptive approach, and the deductive approach. The research consists of an introduction, a preface, two sections, and a conclusion. The introduction touches on the importance of the topic, the reasons for choosing it, the research problem, its limits, and its methodology. The preface includes the concepts of the title. The first section discusses the right to human life in the Holy Qur'an, and it contains six subsections: the right to life in the texts of the Qur'an, the right of life according to the laws of Almighty Allah in the Qur'an, the right of life in Qur'anic stories, the right to life in Quranic proverbs, the right of life in the Arabic Qur'anic style, and the right to life in the rulings of the Qur'an. As for the second section, its title is 'Building Man

in the Holy Qur’an,’ and it contains five subsections: One of the most important results is that man’s right to a safe, dignified life is one of the main objectives of the Noble Qur’an.

Keywords: the right to life - building a human being - styles of the Qur’an - stories of the Qur’an - proverbs of the Qur’an - rulings of the Qur’an

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، خَلَقَ الإنسانَ، علَّمَه البيان، الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، وقال في محكم تنزيله من سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾؛ رعايةً لحقِّ الحياة، وكان أولَ ما أنزله اللهُ ﷻ على قلبِ النبيِّ ﷺ هو قوله ﷻ في سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾؛ تأسيسًا لبناءِ الإنسان على العلم والمعرفة، والصلاة والسلام على أشرفِ الخلق أجمعين، قُدْوةُ الـمُتعلِّمِينَ والمُعَلِّمِينَ والعلماءِ المُهتدين، ورحمةُ اللهِ تعالى للعالـمِين، ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرِّ الميامين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الله ﷻ قَدْ جعل الحياةَ للإنسانِ حقًّا محفوظًا، حَرَّم اللهﷻ على كلِّ أحدٍ أن يعتديَ عليه، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في محكم التنزيلِ في الآية الثانيةِ والثلاثين من سورة المائدة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴿٣٢﴾﴾، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (من أجل).

وقد شَرَع اللهُ ﷻ الإحسانَ ببناءِ الإنسانِ ماديًّا ومعنويًّا في حياتِه، وبعد مماته، ففي صحيح الإمام مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا، فَذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ، وَقُبِرَ لَيْلًا، فَزَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْبَرَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ**»(١)، وفي صحيح

(١) أخرجه الإمامُ مسلمُ في صحيحه، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي تَحْسِينِ كَفَنِ الْمَيِّتِ، رقم (٩٤٣)، ٦٥١/٢.

الإمام البخاري عَنْ عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»(١).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

١- أنه يتناول الحقَّ الضروريَّ الأولَّ من الحقوق الشرعية بعد حقِّ حفظِ الدِّين.

٢- أنه يُجَلِّي رعايةَ حقِّ الحياةِ وبناء الإنسان في القرآن الكريم؛ بوصفهما من المقاصد الكلية للقرآن الكريم.

٣- أنه يُجَلِّي كيفية رعايةِ حقِّ الحياةِ وبناء الإنسان في القرآن الكريم.

٤- أنه يبيِّنُ ثمراتِ رعايةَ حقِّ الحياةِ وبناء الإنسان في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

تتجلى أهداف هذا البحث في أمورٍ، من أهمها ما يأتي:

١- بيان حق الحياة وبناء الإنسان في القرآن الكريم.

٢- ضبط الاجتهادات التشريعية عامَّة وما تعلَّق منها بحق الحياة وبناء الإنسان خاصَّةً بمنهج القرآن الكريم.

٣- توجيه التشريعات والاجتهادات الحقوقية بالمبادئ الأساسية والمقاصد القطعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، يقدُمها حقُّ الحياةِ وبناءُ الإنسان.

حدود البحث:

تتجلى حدود هذا البحث في القرآن الكريم؛ بوصفه المصدر الحاكم المعصوم، الموجه بأصوله المقاصدية كلَّ النُّظم التشريعية التي تهدف إلى رعاية حق الحياة وبناء الإنسان.

---

(١) أخرجه الإمامُ البخاريُّ في صحيحه، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ، رقم (١٣٩٣)، ٢/١٠٤.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث في سؤالين أصليين:

١- ما مفهوم حق الحياة وبناء الإنسان في القرآن الكريم؟

٢- كيف راعى القرآن الكريم حقَّ الحياةِ وبناءَ الإنسانِ في محكم آياته؟

مَنْهَجُ البحثِ:

تعتمدُ الدراسةُ على عدةِ مناهجَ علمية، هي المنهجُ التاريخيُّ، والمنهجُ الاستقرائيُّ، والمنهجُ الوصفيُّ، والمنهجُ الاستنباطيُّ.

خطة البحثِ:

جاءَ البحثُ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ.

المقدمة: فيها أهميةُ الموضوعِ، وأسبابُ اختيارِه، ومشكلةُ البحثِ، وحدودُه، ومنهجُه.

التمهيد: بيانُ مفاهيمِ العنوانِ والمفاهيم ذات الصلة.

المبحث الأول: حق حياة الإنسان في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: بناءُ الإنسان في القرآن الكريم.

الخاتمةُ: فيها أهمُّ النتائجِ والتوصياتِ.

التمهيد

بيانُ مفاهيمِ العنوانِ

يتناول هذا التمهيد مفاهيم الحق والحياة وبناء الإنسان، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً- مفهوم الحق:

١-الحق لغة:

للحق في اللسان العربي معانٍ كثيرة، منها: الحقُّ هو الله ﷻ، والحقُّ هو ما جاء في كتابه العزيز، والحقُّ هو أمرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وَمَا جَاءَ بِهِ من القُرْآن، والحقُّ: الثبوت والوجوب(١)، والحقُّ: صِدق الحَدِيث، والْمِلكُ، والْيَقِين بعد الشَّك، وَيُقَال: أحققت الْأَمر إحقاقًا إِذا أحكمته وصححته(٢)، والحقُّ: العَدلُ، والْإِسْلَام، والقرآن، والحقُّ هو قَدر مَا يَجِبُ فِي الوَقتِ الَّذِي يَجِبُ، نَحْو: فِعلك حَق، وقولُكَ حَق(٣).

ومن تدبَّر الحقَّ في اللغةِ العربيةِ وجده اسمـــاً من أسماءِ الله الحسنى، وصفةً من صفاته العليا، كما يعني الثبوتَ، والوجوبَ، والْمِلكُ، والْيَقِين، والإحكامَ، والعدل، والإسلامَ، والقرآنَ؛ فالمرادُ بحقِّ الحياةِ في اللغةِ رعايةُ هذا الحقِّ، كما جاءت عن الله ﷻ في كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي دينه، وعلى مقتضى عدله الذي يريده ﷻ.

٢- الحقُّ اصطلاحًا:

الحق في الشريعة الإسلامية هو «علاقةٌ شرعيةٌ، تؤدي لاختصاصٍ بشيءٍ، مع امتثال شخص آخر»(٤)، أو هو عبارة عن «اختصاص أقرَّه الشرع نصًّا أو

---

(١) ينظر: العين، للخليل بن أحمد(ح.ق.ق) ٦/٣، ومقاييس اللغة لابن فارس(ح.ق.ق) ١٥/٢.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة، للهروي، مادة (ح ق ق)٢٤٦/٣.
(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (ح ق ق)١٦٦/٢٥.
(٤) الحق في الشريعة الإسلامية، أد. محمد طَمــوم، ط: الأولى – دار السلام ١٤٣٥هـــ-٢٠١٤م، ص٣٦، وينظر: الحق والذمة وتأثير الموت فيهما وبحوث أخرى، للشيخ علي الخفيف، دار الفكر العربي ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٥٤-٥٦.

استنباطًا»[1]، وبهذا يظهر أنَّ المعنى الاصطلاحي للحق يتفقُ مع المعنى اللغوي.

٣-الحقُّ في الاستعمال القرآني:

استعمل القرآن الكريم مادة (ح. ق. ق) ومشتقاتها في ثلاثمائة وسبعة وسبعين (٣٧٧) موضعًا[2].

وقد ذكر أهل التفسير أن الحق في القرآن الكريم على أحد عشر وجهًا، هي:

الوجه الأول: الحقُّ هو الله ﷻ، فذلك قولُه في سورة المؤمنون: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴿٧١﴾﴾، أي: ولو اتبع الله ﷻ هوى المشركين، وقولُه ﷻ في سورة العصر: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾، يعني: بالله ﷻ أنَّه واحدٌ[3].

الوجه الثاني: الحقُّ يعني: القرآن، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الزخرف: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾﴾، يعني: القرآن.

---

(١) الحقوق المالية ومدى جواز الاعتياض عنها مع تطبيقاتها المعاصرة، دراسة فقهية مقارنة، أد. علي محيي الدين القره داغي، دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٠٨-٢١٢.

(٣) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)، ت: أد. حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص ٢٢٢، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى ت ١٧٠هـ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٨م، ص١٧٢-١٧٥، وتحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذي(توفي نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: حسني نصر زيدان، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، ص١٥٣-١٥٤.

الوجه الثالث: الحقُّ يعني: الإسلام، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الإسراء: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴿٨١﴾﴾، يعني: الإسلام.

الوجه الرابع: الحقُّ يعني: العدلُ، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٨٩﴾﴾، يعني: بالعدل، وقوله ﷻ في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾، يعني: حسابَهم العدل، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾، يعني: العدل المبين، وقوله في سورة ص: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٢٢﴾﴾، يعني: بالعدل.

الوجه الخامس: الحقُّ يعني: التوحيد، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الصافات: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ ﴿٣٧﴾﴾، يعني: بالتوحيد.

الوجه السادس: الحقُّ يعني: الصدق، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴿٧٣﴾﴾، يعني: الصدق.

الوجه السابع: الحقُّ يعني: الواجب، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة السجدة: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴿١٣﴾﴾، يعني: وجب القول منِّي.

الوجه الثامن: الحقُّ يعني: الحق بعينه الذي ليس بباطل، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴿٦﴾﴾، وغيره من الآلهة باطلٌ.

الوجه التاسع: الحقُّ يعني: المال، فذلك قولُه اللهِ ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴿٢٨٢﴾﴾، يعني: المال.

الوجه العاشر: الحقُّ يعني: الأَوْلَى، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة يونس: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴿٣٥﴾﴾، يعني: أولى أن يُتَّبَعَ.

الوجه الحادي عشر: الحقُّ يعني: الحظَّ، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾، يعني: حظٌّ

مفروضٌ[1]، وهذه الوجوه أو المعاني القرآنية، التي سبق ذكرها هي أبرز وجوه المعاني للحقِّ في الاستعمال القرآني.

ثانيًا- مفهوم الحياة:

١- الحياة لغة:

للحياة في اللسان العربي معانٍ كثيرة، منها: الحياةُ: العيشُ، والمحاياة: الغذاء للصبيّ بما به حياته، والـمُحَيّا: الوجهُ، وقول العرب: حيّاك اللهُ: يعني: الاستقبال بالـمُحَيّا، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من الحياة، وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ، أي: استفعلوا من الحياة، أي: اتركوهنَّ أحياء[2]، وفي النحو العربي حياةُ الحرف: قبولُه الحركة، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): «فأما الممدود فإنَّ آخرَه حيٌّ كحياة الهاء»[3].

٢- الحياة اصطلاحًا:

المراد بالحياة في اصطلاح الفقهاء هو العيش، و«الحياة هي الأصل في النعم، ولولاها لم يتنعم أحد في الدنيا»[4].

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص ٢٢٢-٢٢٦، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٦٦- ٢٦٨.

(٢) ينظر: العين، للخليل بن أحمد، (ع ي ش)، ١٨٩/٢، و ومادة (ح ي و) ٣١٨/٣، و٢٢٠، و٢٢١.

(٣) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٤٢٣/٣.

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي٤٩/٣٠، وينظر: تفسير السمعاني٢٦٨/٢.

٣-الحياة في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (ح ي ي) وتصريفاتها الدالة على الحياة في القرآن الكريم (١٧٥) مرة[١]، وقد ذكر أهل التفسير أن الحياة في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي:

الوجه الأول: الحياةُ يعني: الخلق الأول ونفخ الروح، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴿٢٨﴾﴾، يعني: كنتم نطفا فخلقكم، وجعل فيكم الأرواح، وقوله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴿٢٧﴾﴾، يعني: وتخرج الحيوان من النُّطَف[٢].

الوجه الثاني: الحياةُ إحياءُ الموتى بعد خروج الأرواح منهم، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾، وفي سورة القيامة: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

الوجه الثالث: الحياةُ الهدى، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة الأنعام: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴿١٢٢﴾﴾، وفي سورة يس: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴿٧٠﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾﴾.

الوجه الرابع: الحياةُ البقاءُ، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴿٤٩﴾﴾، وفي السورة نفسها: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴿١٧٩﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾.

الوجه الخامس: الحياةُ حياةُ الأرضِ بالنبات، فذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة فاطر: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٢٢٣-٢٢٤.
(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص ٢٧١-٢٧٣، ونزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي، ، ص ٢٥٣- ٢٥٤.

ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾[1]، سمي الحياء حياء؛ لأن اللون يحمر معه، والحمرة لون الحياة[2].

ثالثًا- مفهوم البناء:

١- البناء لغة:

للناء في اللسانِ العربيِّ معانٍ كثيرةٌ، منها: البناءُ ما شُيِّدَ أركانُه وأُقيم من البيوتِ ونحوِها، وبِنَاءُ الشَّيْءِ ضمُّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ، والبناءُ على الأمر: التأسيسُ عليه والترتيبُ، والبناءُ بالمرأة: التعريسُ بها والدخول[3]، ومنه ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حُجَرِ أُمَّهَاتِ المؤمنين كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيُسَلِّمْنَ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو لَهُنَّ وَيَدْعُونَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ رَأَى رَجُلَيْنِ جَرَى بِهِمَا الحَدِيثُ، فَلَمَّا رَآهُمَا رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلاَنِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ وَثَبَا مُسْرِعَيْنِ، فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ بِخُرُوجِهِمَا أَمْ أُخْبِرَ، فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ وَأَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الحِجَابِ»[4].

---

(١) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ٩٧٩م، ص٢٥٥، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص٢٥٣.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص ٢٧١-٢٧٣، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (معتزلي)، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧ م، ص١٩١.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (ب ن ي)٣٠٢/١، وتاج العروس، للزبيدي٢١٦/٢٧.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ=

والمرادُ بحقّ الحياة في هذا البحث هو حقُّ الإنسانِ في الحياةِ الآمنةِ الكريمةِ، والمقصودُ ببناءِ الإنسانِ هنا بناؤه إيمانيًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا وبدنيًّا ونفسيًّا وفكريًّا على الوجه الصحيح؛ ذلك بأنَّ هذا البناءُ الإلهي (بناء الإنسان) هو أساسُ كلِّ بناءٍ، فمتى أُقيم على مرادِ الله ﷻ أثمر الصلاحَ والفلاحَ للإنسانِ والزمانِ والمكان.

رابعًا- مفهوم المقصد:

١- تعريف المقصد لغة:

يراد بالمقصد في اللسان العربي معان، منها: النيَّة[١]، والإرادة[٢]، وإتيانُ الشيء[٣]، والاعتزام، والتوجُّه، والنهوضُ، والنهودُ نَحْو الشَّيْء[٤]، واستقامة الطريقة[٥]، والعدل، والاقتصاد، والتوسط[٦]، والمقصد: المُرشِد[٧].

=فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الأحزاب: ٥٣]"، رقم (٤٧٩٤)٦/١١٩.

(١) ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ن. و. ي) ٨/٣٩٣.

(٢) ينظر: مفاتيح العلوم، للخوارزمي (ت٣٨٧هـ)، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط: الثانية، ص ١٦١.

(٣) يُنظر: مجمل اللغة لابن فارس(ق. ص. د) ١/٧٥٥، وشمس العلوم، لنشوان الحميرى (ت٥٧٣هـ) ٨/٥٥١٩.

(٤) قال الخليل ابن أحمد: «النُهوض قيامٌ عن قُعودٍ ومُضِيٌّ، والنُّهُودُ: مُضِيٌّ على كلّ حال». العين (ن.ه.د) ٤/٢٨.

(٥) ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي+ (ق. ص. د) ٥/٥٤.

(٦) ينظر: المصدر السابق (ج. و. ر) ٦/١٧٦، ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق ٢/٢٤٤.

(٧) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (د.ر.ش)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ر.ش.د) ٨/٢٦.

٢- تعريف المقصد اصطلاحًا:

المقصد في اصطلاح الأصوليين هو «عبارة حاوية للإبقاء ودفع القواطع، وللتحصيل على سبيل الابتداء»(١)، أو هو «ما دَلَّتْ الدَّلائل الشرعية على وجوب تحصيله، والسعي في رعايته، والاعتناء بحفظه»(٢).

ومقاصد التشريع العامة هي: «المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصّ ملاحظتُها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة»(٣)، أو أنَّ المقصد هو: «الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»(٤).

ومن مجموع تعريفي المقصد، اللغوي والاصطلاحي يتجلى مفهوم المقصد الشرعي في أنَّه يعني إتيانَ شيءٍ محدَّدٍ على وفق الحقِّ، والتوجهَ إليه، والـمُضِيَّ إلى تحقيقه على كلّ حال، وسطيةً واستقامةً، وأن المقصد مرشد إلى الطريق المستقيم الذي يوصل سالكه إلى الحقِّ؛ فإذا تبيَّن المراد بمقصود الشرع كان تحقيقه هو الحقُّ الذي يريدُه الله ﷻ؛ لأنَّ مقاصد الشرع حقٌّ كلها؛ فإذا عُلِم المقصود الشرعي تبيَّن أنَّ تحقيقَه هو الحقُّ، وفي مقدمةِ ذلك حقُّ الإنسانِ في الحياة، وبناؤه على مراده الحقِّ جلَّ في علاه.

---

(١) شفاء الغليل، لأبي حامد الغزالي، ت: د. حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد – بغداد، ط: الأولى، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م، ص١٥٩.

(٢) الكاشف عن أصول الدلائل، للرازي، ت: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل-بيروت، ط: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢، ص٥٣.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف، قطر١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م٣/١٦٥.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط: الخامسة ١٩٩٣م، ص٧.

المبحث الأول
حقُّ حياةِ الإنسانِ في القرآن الكريم

يتناول هذا المبحث حق الحياة الإنسانية كما يُستفادُ في الذكر الحكيم من السنن الإلهية، وقَصَصِه، وأمثالِه، وأساليبِه، وأحكامه، وذلك في ستة مطالبَ:

المطلب الأولِ: حق الحياة في سُنَنِ اللهِ تعالى في القرآن(١)

من تدبَّر السُّنن الإلهية الواردة في الآيات القرآنية وجد رعايةَ حق الإنسان في الحياة واضحةً جليةً، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة الأخذ:

مما يجب أن يراعى في حقِّ الحياة وبناء الإنسان تدبر سنة الله ﷻ في الأخذ بالذنب الذي يتمثل في إهمال البناء الإلهي والحقِّ الإنساني الذي يريد الله ﷻ رعايته، قال الله ﷻ عن قوم لوط في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾؛ ذلك بأنَّ الذي كفروا وشذوا عن فطرة الله التي فطر الناس عليها أخذهم الله ﷻ، وإنما «يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينه ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة ما بينه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله، وفائدة ترتيله، وحكمة تدبره، من علم ونور، وهدى ورحمة، وموعظة وعبرة، وخشوع وخشية، وسنن في العالم

(١) المقصود بسنن الله ﷻ هو «منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون، وعمارته، وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله». السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٢٧، وينظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي٩/٣٧٠.

مطردة؛ فتلك غاية إنذاره وتبشيره، ويلزمها عقلا وفطرة تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة، فإنه كما قال: هدى للمتقين»[1]، وفي هذا الفسق أو الخروجِ عن الفطرة السليمة التي فطر الناسَ عليها جنايةٌ على حقِّ الإنسانِ في الحياة وبنائه الإلهي.

وبالنظر الأصولي يتبيَّنُ وجوبُ الاعتبار بالذين لم يراعوا حقَّ الحياة الآمنة الكريمة التي أرادها الله ﷻ لبني آدم، ومن أدلة ذلك قول الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾، وقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾، والقاعدة عند جمهور علماء أصول الفقه أنَّ «**الأمر المُطْلَق يقتضي الوجوب**»[2]، وعليها رعاية حق الإنسان في الحياة وبنائه واجبةٌ شرعًا، ولا يجوز إهمالها، بل إنَّ كلَّ ما يوصِّلُ رعايته فهو واجب؛ لأنَّ القاعدة الأصولية تقتضي أنَّ «**ما لا يتمُّ الواجبُ إلّا به فهو واجبٌ**»[3]، وأنَّه «إذا أمر الله ﷻ عبده بفعلٍ من الأفعال وأوجبه عليه، وكان المأمور لا يُتوصَّل إلى فِعله إلا بِفعل غيرِه؛ وجب عليه كلُّ فعلٍ لا يُتوصَّل إلى فعل الواجب إلا به»[4].

---

(١) تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٨/١.

(٢) الإشارات الأصولية، للطوفي، دار الفاروق الحديثة، ط/ الثانية١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ٢٦٤/١، وينظر: أصول الشاشي، دار الكتاب العربي – بيروت، ص١٢٠، والمعتمد، لأبي الحسين البصريّ٥١/١، والإحكام، للآمدي ١٧٦/٢، ونهاية السول، للإسنويّ١٥٦.

(٣) العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى٤١٩/٢، والمستصفى، للغزالي٩٢/٢، والمحصول، للرازي ٣٩٢/٥، والإحكام، للآمدي١١٧/١، وقواعد الأحكام، للعز٢٠٤/٢، وشرح مختصر الروضة، للطوفي٣١٤/١، وفتح القدير، للكمال بن الهمام، ٢١/٩.

(٤) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى٤١٩/٢، ويُنظَر: المستصفى في علم الأصول للغزاليِّ١٣٨/١.

ثانيًا- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة الإهلاك:

رعاية حق الإنسان في الحياة وحفظ بنائه الإلهي من الأمور الضرورية بالنظر إلى السنن الإلهية، ولا ريب أنَّ من سنن الله ﷻ إهلاك المجرمين، يقول الله ﷻ عن قوم القاتل من ابني سيدنا آدمَ عليه السلام في سورة المائدة: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، أي: «قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسله وهم الأصل وأنتم الفرع والعلة الجامعة التكذيب والحكم الهلاك»[(١)]؛ فالإهلاك واقع لا محالة لمن خرج عن منهج الله ﷻ وفطرته التي فطر الناس عليها؛ لذلك أمر الله ﷻ كفار مكة بالنظر في عاقبة المجرمين حيث قال الله ﷻ في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾، «يعنى كفار الأمم الخالية كيف كان عاقبتهم في الدنيا الهلاك، يخوف كفار مكة، مثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وقد رأوا هلاك قوم لوط، وعاد، وثمود»[(٢)].

ثالثًا- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة الجزاء:

مَنْ تدبَّر سنن الله ﷻ وجد منها سنة الجزاء، يقول الله ﷻ عن جزاء المكذبين في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾، «فهذا خبر لا يجوزُ رفعُهُ ولا نسخُهُ؛ لأنَّهُ يُفضي إلى وقوعِ الخبرِ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م١/١٣٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان٢/٤٨٤، وينظر: جامع البيان، الطبري ١٢/٥٥٣.

بخلافِ مخبَرِهِ، وذلكَ غيرُ جائزٍ على الله سبحانه»[1]، وقد قال الإمام ابن جرير الطبري في تأويل هذه الآية الكريمة: «كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسَهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتَهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسَخَطي في الدنيا، وأوردُه النار في الآخرة»[2]؛ فكلٌّ مجزيٌّ بعمله إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

رابعًا- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة الحفظ:

من تدبر القرآن الكريم وجد من سنن الله ﷻ سنة الحفظ، والمراد به منع الشيء وتفقُّده ورعايته، والحفظ في القرآن الكريم على ستة أو جهٍ أو معانٍ، هي الغلم، والصيانة والعِفَّة، والرعاية، والشفقة، والضمان، والشهادة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

١- الحفظ يعني العلم، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة المائدة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٤٤﴾﴾، بما علموا ووعوا[3]، واسم الْهُدَى في هذه الآية الكريمة: «يَتَنَاوَلُ مَا أَبَانَ اللَّهُ تعالى مِنْ الدَّلَائِلِ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَعَدْلِهِ،

(١) الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، لابن عقيل (ت٥١٣هـ)، تحقيق: د. عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٤٦/٤.

(٢) جامع البيان، الطبري ٣٨/١٥، وينظر: بحر العلوم، السمرقندي٥٣١/١.

(٣) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص١٨٣.

وَسَائِرِ صِفَاتِهِ، وَيَتَنَاوَلُ أَيْضًا مَا أُنْزِلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ مِنْ أَحْكَامِ شَرَائِعِهِ...؛ فَسَمَّى مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ هُدًى»(١).

٢- الحفظ بمعنى الصيانة والعِفَّة، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة النساء: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴿٣٤﴾﴾، أي: صائنات لأنفسهن، وقوله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾، يعني: يصونون فروجهم عن الحرام(٢).

٣- الحفظ بمعنى الرعاية، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴿١١﴾﴾، يعني به الرعاية(٣).

٤- الحفظ بمعنى الشفقة، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾، يعني: مشفقين(٤).

---

(١) الفصول في الأصول، للجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م٣/٢٥، وينظر: المعتمد في أصول الفقه، للبصري٢/٣٤٠، وتيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول، لكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن إمام الكاملية» (ت٨٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخميسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م٤/٢٤٩.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص١٨٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي٣/٥٤٠، والتحرير والتنوير، لابن عاشور١٠/١٥٩، وزهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة٣/١٦٦٨.

(٤) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٦٤، وبحر العلوم، للسمرقندي٢/١٨٢، وجامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي٢/٢١٣.

٥- الحفظ بمعنى الضمان، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾، أي: ضامنون لرده إليك.

٦- الحفظ بمعنى الشهادة، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة الشورى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾﴾، وقولُه ﷻ في سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾، أي: رُقباء وشهداء[١].

خامسًا- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة التغيير:

إنَّ رعاية حقِّ الإنسان في الحياةِ لا يمكن أن تقوم إلا على سنن إلهية، ومن هذه السنن الإلهية سنة التغيير التي وردت في قول الله ﷻ من سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾﴾، وذلك: «نصب الْفِعْل سَببا لزوَال نعْمَة أَو حُلُول نقمة»[٢]، ومن تدبر القرآن الكريم يجد منهجه في سنة التغيير مبيناً، وهي سمة عامة في المنهج القرآني، كما أنَّ من تدبَّر شرع الله ﷻ في كتابه العزيز يجده يقصد إلى تغيير الفساد وتقرير الصلاح؛ لذلك كانت قاعدة المقاصد التي صاغها ابن عاشور: «**مقصد الشريعة من التشريع تغييرٌ وتقريرٌ**»[٣]؛ لأنَّ «**وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا**»[٤].

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص١٨٣.

(٢) الإمام في بيان أدلة الأحكام، للعز، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١١٦.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور٢٩٧/٣.

(٤) الموافقات، للشاطبي٦/٢.

ومن الأسباب الشرعية إلى تغيير الأحوال الفاسدة إلى الصالحة الإيمانُ بالله تعالى، ومن أدلة ذلك قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما يدلُّ على ذلك قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾؛ ذلك بأنَّ «الْعَرَبَ كَانَ لَهَا اعْتِنَاءٌ بِعُلُومٍ ذَكَرَهَا النَّاسُ، وَكَانَ لِعُقَلَائِهِمِ اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن الشيم، فَصَحَّحَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ وَزَادَتْ عَلَيْهِ، وَأَبْطَلَتْ مَا هُوَ بَاطِلٌ، وَبَيَّنَتْ مَنَافِعَ مَا يَنْفَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَضَارَّ مَا يَضُرُّ منه»(١).

سادسًا- تَدَبُّرُ حَقِّ الحياةِ في سُنَّة النصر:

الناظر المتدبر سنن الله ﷻ يجد منها سنة النصر، والنصر في القرآن الكريم على أربعة معانٍ:

١- النصر بمعنى العون، ومنه قوله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾، وفي سورة محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾.

٢- النصر بمعنى المنع، ومنه قوله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾، أي: يمنعونكم من عذاب الله،

(١) الموافقات، للشاطبي ١١٢/٢.

وفي سورة غافر: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴿٢٩﴾﴾، وفي سورة الصافات: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٣- النصر بمعنى الظفر، ومنه قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

٤- النصر بمعنى الانتقام، ومنه قوله ﷻ في سورة الشورى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾، وفي سورة محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ ﴿٤﴾﴾، وفي سورة القمر على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾﴾[1].

ومن تدبر هذه الآيات وجد أنَّ «النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم»[2]، ونصرُ اللهِ ﷻ لا يكون إلا للوقَّافين عند حدودِه؛ برعاية حقوق الله ﷻ وحقوق الناس عامة، ورعاية حقِّ الإنسان في الحياة خاصَّةً.

وخلاصةُ ما سبق ذكره في رعاية حق الحياة برعاية السنن الإلهية أنَّ في رعاية هذه السنن الإلهية وإعمالها رعاية لحق حياة الإنسان، وفي إهمالها فسوقٌ عن منهج الله ﷻ في تلك الرعاية الربانية، ويثور بإهمالها القتلُ الذي بيَّنه النبيُّ

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم، مؤسسة الرسالة- لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٥٨٧.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني٥/٧٢٤، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، القنوجي١٥/٤٣٠.

ﷺ، كما جاء في الصحيحين عن أَبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ -وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ**»(١).

المطلب الثاني: حق الحياة في مبادئ القرآن الكريم:

من تدبَّر المبادئ القرآنية وجد رعايةَ حق الإنسان في الحياة واضحةً جليةً، ومن هذه المبادئ ما يأتي:

١- مبدأ ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴿١٧٩﴾﴾[سورة البقرة:١٧٩]، قال جمهور المفسرين: «الحياة التي في القصاص هي: أن الإنسان إذا علم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ، أمسك عن القتل، فكان ذلك حياة له، للذي امتنع من قتله، فمشروعية القصاص مصلحة عامة، وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به، فتقدّم المصلحة العامة لتعذر الجمع بينهما»(٢).

٢- مبدأ ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[سورة البقرة:١٩١]، ذكر جمهور المفسرين عند تفسير هذا المبدأ القرآني أنَّ: «المحنة التي يُفتتن بها الإنسانُ كالإخراج من الوطن أصعبُ من القتل لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها»(٣).

---

(١) متفقٌ عليه: أخرجه الإمامُ البخاريُّ في صحيحه، كِتَابُ الجمعة، بَابُ مَا قِيلَ فِي الزَّلاَزِلِ وَالآيَاتِ، رقم (١٠٣٦)، ٣٣/٢، والإمامُ مسلم في صحيحه، كِتَابُ العلم، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم (١٥٧)، وهذا لفظ الإمام البخاري٤/ ٢٠٥٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان١٥٣/٢، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور٦٨/٩، وزهرة التفاسير، للشيخ أبو زهرة٢٤٤٩/٥.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي٤٧٦/١، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي٢٠٤/١، وتفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا١٦٩/٢.

٣- مبدأ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾[سورة البقرة:٢٨٦]، قال جمهور المفسرين عند تفسير هذا المبدأ القرآني: «الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي: لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود. وهذا إخبار عن عدله ورحمته»(١).

٤- مبدأ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة النساء:١٢٣]؛ فكلُّ إنسانٍ مجزيٌ بعمله، وهذا «عامٌّ خُصَّ بما عفا الله ﷻ عنه إما تفضلا أو بشفاعة، أو سقط مقاصة»(٢).

٥- مبدأ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ ﴿٩٥﴾﴾[سورة المائدة:٩٥]، «يعني عما مضى قبل التحريم»(٣).

٦- مبدأ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴿١٠٠﴾﴾[سورة المائدة:١٠٠]، يعني: لا يستوي الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي(٤).

٧- مبدأ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]، أي: «لا يحمل أحدٌ ذنب غيره»(٥).

---

(١) الكشاف، للزمخشري١/٣٣٢، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي١/٤٠٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي١/٢٣٣.

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، للطوفي١/١٨٤، وينظر: الجواهر الحسان، للثعالبي٢/٣٠٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي٥/٣٩٦.

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٤٠، وبحر العلوم، للسمرقندي١/٤٤٠، وتفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين المالكي (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة– مصر/ القاهرة، ط، الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م١/٣٥٧.

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/١٢، وبحر العلوم، للسمرقندي١/٤٤٠، وتفسير القرآن، لسلطان العلماء١/ ٤١٤.

(٥) تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا٨/٢١٧.

٨- مبدأ ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يونس:٣٦]، يعني «إن الشك لا يغني من اليقين شيئًا، ولا يقوم في شيء مقامَه، ولا ينتفع به حيث يُحتاج إلى اليقين»(١).

٩- مبدأ ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٤] ، أي: «مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به، ويجوز أن يكون تخييلا، كأنه يقال للعهد: لم نكثت؟ وهلا وفي بك؟ تبكيتا للناكث، كما يقال للموؤدة: بأي ذنب قتلت؟ ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا»(٢).

١٠-مبدأ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴿١٠﴾﴾[سورة الحجرات:١٠]، وفي هذه الأخوة: «رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد، فيدخل فيه صلة الرحم، وصلة القرابة الثابتة بسبب أخوة الإيمان...، ويدخل في هذه الصلة إمدادهم بإيصال الخيرات، ودفع الآفات بقدر الإمكان، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، وإفشاء السلام على الناس، والتبسم في وجوههم، وكف الأذى عنهم»(٣).

وعلى هذه المبادئ القرآنية الكلية وغيرها من المبادئ الشرعية المنثورة في الكتاب العزيز تقوم رعاية حق الحياة وبناء الإنسان، ويترتب على إهمالها في التدبر إهمال هذا البناء الذي يريد الله ﷻ حفظه ورعايته.

---

(١) جامع البيان، للطبري٨٩/١٥، وينظر: بحر العلوم، للسمرقندي١١٧/٢، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، للقِنَّوجي، ٦١/٦.

(٢) الكشاف، للزمخشري٦٢٣/٢، وينظر: أحكام القرآن، لابن العربي١٦٦/٣، ومدارك التنزيل، للنسفي٢٥٦/٢.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي٣٤/١٩، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م٧٩/٩، ومدارك التنزيل، للنسفي١٥٢/٢.

المطلب الثالث: حق الحياة في القَصَصِ القرآني

تتجلى رعاية حق الإنسان في الحياة في قصص القرآن الكريم، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- حق الحياة في قِصَّة ابني آدم عليه السلام:

تتجلى رعاية حقِّ الحياة في قصص القرآن الكريم عامَّةً وفي قصة ابني آدم خاصةً، ويمكن استفادة ذلك من قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾، إلى قول الله ﷻ في السورة نفسها: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾، وفي هذا النَّصِّ القرآنيِّ علةٌ منصوصٌ عليها من الشارع الحكيم ﷻ[1]، ولا ريب أنَّ في إحياء النفس بالقصاص من الجاني وأخذه بجريمته رعايةً لحقِّ الإنسان في الحياةِ، وفي صحيح الإمام البخاري قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ** [2] **مِنْ دَمِهَا**»؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»[3].

وفي قصص القرآن الكريم بيانٌ للشرع، وعلى أهل الاجتهاد أن يستنبطوا منها الأحكامَ الشرعية؛ «فَإِنَّ أَحْكَامَ الشَّرْعِ كَمَا تُسْتَنْبَطُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي؛

---

(١) ينظر: التلخيص، للجويني٢٤٨/٣، والمستصفى، للغزالي٢٩٨/٢، والمحصول، للرازي١٣٩/٥، وكشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري٣٥١/٣.

(٢) «الكِفْلُ: الجزء والنصيب». إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة مصر، ٤٧٨/٥.

(٣) أخرجه الإمامُ البخاريُّ في صحيحه، كِتَابُ الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ، ٧٩/٢.

كَذَلِكَ تُسْتَنْبَطُ مِنَ الْأَقَاصِيصِ وَالْمَوَاعِظِ وَنَحْوِهَا، فَقَلَّ أَنْ يُوجَدَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَيُسْتَنْبَطُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْكَامِ»(١).

ثانيًا- حق الحياة في قِصَّة سيدنا موسى عليه السلام مع الرجلين:

قال الله ﷻ في سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾، «وإنما قال موسى ذلك؛ لأن قتل النفس مستقبح في الشرائع البشرية، فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها، وكان موسى يعلم دِيْن آبائه لعله بما تلقاه من أمه المرأة الصالحة في مدة رضاعه وفي مدة زيارته إياها»(٢).

المطلب الرابع: حق الحياة في الأمثالِ القرآنية:

الناظر المتدبر أمثال القرآن الكريم يجد فيها رعاية حق الإنسان في الحياة، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- مَثَلُ مَنْ سَوَّى بين الحق والباطل:

قال الله ﷻ في سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾، يقول الله ﷻ «لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: مَنْ رَبُّ السموات والأرض ومدبِّرها، فإنهم سيقولون الله، وأمر الله نبيّه صلى الله

(١) شرح مختصر الروضة، لنجم الدين الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٥٧٧/٣.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠/٢٠.

عليه وسلم أن يقول: الله، فقال له: قل، يا محمد: ربُّها، الذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله، ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أفاتخذتم من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعًا تجلبه إلى نفسها، ولا ضرًّا تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فمِنْ مِلْكه لغيرها أبعدُ فعبدتموها، وتركتم عبادة من بيده النفع والضر والحياة والموت وتدبير الأشياء كلها»[1].

ثانيًا- مَثَلُ نورِ الإيمانِ:

قال الله ﷻ في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار، فإن مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كما يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور»[2].

ثالثًا- مَثَل الضال الذي يحسب أنه على هدى:

قال الله ﷻ في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾، فهذا مثل الإنسانِ الضال الذي يحسب أنه على هدى[3].

---

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ١٦/٤٠٥.

(٢) الذخيرة، للقرافي، تحقيق: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٤م، ٢/١٢٩.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم ١/ ١٥٦.

رابعًا- مَثَلُ الكلمة الطيبة ومَثَلُ الكلمة الخبيثة:

قال الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾؛ ذلك بأنَّ في الكلمةِ الطيبةِ رعاية لحقِّ الإنسانِ في الحياة الآمنة الطيبة وبنائه الذي فطره الله عليه وأراده له، وأنَّ في الكلمة الخبيثة العدوان على حياة الإنسان وبنائه؛ لذلك كان نصرُ الكلمة مقصدًا شرعيًّا، ذكره الإمامُ القرافيُّ (ت٦٨٤هـ) حيث قال: «ونَصْرُ الكلمةِ مقصدٌ»(١)، ولا ريب أنَّ الإمام يقصد الكلمة الطيبة دون الكلمة الخبيثة، أو كلمة الحق دون كلمة الباطل.

خامسًا- مَثَلُ القرآن الكريم في إعجازه وقوة بيانه:

قال الله ﷻ في سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، حث على تأمل مواعظ القرآن الكريم، وبَيَّنَ أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي: متشققة من خشية الله، والخاشع: الذليل، والمتصدع: المتشقق، ولو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده، وتصدع لوعيده، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده(٢).

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ١٠٦/٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤٥/١٨.

وثمَّةَ أَلْفَاظٌ قرآنيةٌ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْمَثَلِ، منها: الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ، وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ، كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ، وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ(١).

المطلب الخامس: حق الحياة في الأساليب العربية القرآنية:

تتجلى رعاية حق الحياة في الأساليب العربية القرآنية، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- حق الحياة في أسلوب النهي في القرآن الكريم:

تجلت رعاية حق الحياة الإنسانية في النهي القرآني عن قتل النفس، ومن ذلك قولُ الله ﷻ في سورة النساء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾، «وأجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهيُ أنْ يقتل بعضُ الناس بعضًا، ثم لفظها يتناول أنْ يقتل الرجل نفسَه بقصدٍ منه للقتل في الحرص على الدنيا وطلب المال؛ بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف»(٢)، والقاعدة الأصولية عند جمهور علماء الأصول تقضي أنَّ «**النهي يقتضي التحريم**»(٣).

ثانيًا- حق الحياة في أسلوب الشرط في القرآن الكريم:

تجلت رعاية حق الحياة الإنسانية في الشرط الوارد في القرآن الكريم، ومن ذلك قولُ الله ﷻ في سورة النساء: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾؛ «ولهذا

(١) ينظر: الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة، لجعفر بن محمد، ابن شمس الخلافة، ص١٨، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ٣٥٦/١.

(٢) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ٤٠٥/١٦.

(٣) العدة، للقاضي أبي يعلى٤٤٠/٢، والتلخيص، للجويني٤٩٦/١، وكشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري٢٩٥/١، ونهاية السول، للإسنوي١٧٧/١.

حكم ابن عباس رضي الله عنهما بخلود قاتل العمد في النار، وأنها محكمة لم تنسخ؛ لأن الوعيد تكاثف فيها، بخلاف قتل الخطأ، فإن حكمه مرفوع كما سبق، وليس على فاعله لائمة، إلا من جهة أنه لم يتحرز عن السبب المفضي إلى القتل»[١]، كما «أن كلمة (من) في معرض الشرط تفيد الاستغراق»[٢]، وفي وصف الْفِعْل بِأَنَّهُ سَبَب غضب ولعن وعذاب عظيم دلالة على وجوب رعاية حق الإنسان في الحياة[٣].

ثالثًا- حق الحياة في أسلوب التوكيد في القرآن الكريم:

تجلت رعاية حق الحياة الإنسانية في الشرط الوارد في القرآن الكريم، ومن ذلك قولُ الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾، «أي: ذنبا عظيمًا، ويقال ظلما عظيما»[٤]، وفي صحيح الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قال: سَأَلْتُ- أَوْ سُئِلَ- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ، قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»**[٥].

---

(١) شرح مختصر الروضة، لنجم الدين الطوفي٢/٧٢١.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٠/١٨٩، وينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ٤/٢٧.

(٣) ينظر: الإمام في أدلة الأحكام، لسلطان العلماء١/١١٥.

(٤) بحر العلوم، للسمرقندي٢/٣١٠.

(٥)أخرجه الإمامُ البخاريُّ في صحيحه، كِتَابُ تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}، رقم (٤٧٦١)، ٦/١٠٩.

المطلب السادس: حق الحياة في أحكام القرآن

تتجلى رعاية حق الحياة في أحكام القرآن الكريم، وفي هذا المطلب أربعُ أحكامٍ ضروريةٌ:

أحدُها: وجوبُ رعايةِ حقِّ الحياةِ وبناءِ الإنسانِ:

وذلك الحكم الشرعي مُستفادٌ من أحكام القرآن، دلَّ عليه محكم الآيات، منها قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ رعايةً لهذا البناءِ الإلهي والحقِّ الإنسانيِّ، وَالقصاص «هُوَ فِي العيان ضد الْحَيَاة، وَلَكِن فِيهِ حَيَاةٌ بطريق الاعْتِبَار فِي شَرعه واستبقائه؛ أما الْحَيَاة فِي شَرعه، وَهُوَ أَنَّ مَنْ قَصَد قَتْلَ غَيره فَإِذا تفكر فِي نَفسه أَنه مَتى قَتله قُتل بِهِ انزجر عَن قَتله؛ فَتكون حَيَاةً لَهما، والحياة فِي استبقائه أَنَّ الْقَاتِل عمدًا يصير حَربًا لأولياء الْقَتِيل؛ لخوفه على نَفسه مِنْهُم، فَالظَّاهِر أَنه يقْصد قَتلَهمْ ويستعين على ذَلِك بأمثاله من السُّفَهَاء؛ ليزيل الْخَوْفَ عَن نَفسه، فَإِذا استوفى الْوَلِيّ الْقصاصَ مِنْهُ انْدفع شَره عَنهُ وَعَن عشيرته؛ فَيكون حَيَاةً لَهُم من هَذَا الْوَجْه؛ لِأَن إحْيَاء الْحَيّ فِي دفع سَبَب الْهَلَاك عَنهُ»[1].

الحكمُ الشَّرْعيُّ الثاني: وجوبُ الإحسانِ إلى الإنسانِ برعاية حياتِه وبنائه:

وذلك الحكم الشرعي مُستفادٌ من أحكام القرآن، دلَّ عليه محكم الآيات، منها قول الله ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾، وهذا نص صريح على العلة، وهو ما يدل على التعليل بلفظ موضوع له في لغة العرب، وهو كلمة من أجل[2].

---

(١) أصول السرخسي، دار المعرفة – بيروت٢/١٢٥، وينظر: المحصول، للرازي٥/١٦٠، ونفائس الأصول، للقرافي٧/٣١٩٣.

(٢) ينظر: العدة، للقاضي أبي يعلى٢/١٣٥٦، واللمع، للشيرازي، ص٦٠، والمستصفى، للغزالي٢/٢٩٨.

الحكمُ الشَّرْعيُّ الثالث: تحريمُ قتلِ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ:

وذلك الحكم الشرعي مُستفادٌ من أحكام القرآن، دلَّ عليه قول اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وهذا النصُّ القرآنيُّ المبين استقل بنفسه في الكشف عن المراد، ولا يفتقر في معرفة المراد إلى غيره، وهو من النصوص التي تفيد الحكم القرآني بنطقها، أو قد دل على الحكم بصريحه على وجه لا احتمال فيه(١).

الحكمُ الشَّرْعيُّ الرابع: تحريمُ عدوانِ الإنسان على نفسه أو على أخيه الإنسان:

وذلك الحكم الشرعي مُستفادٌ من أحكام القرآن، دلَّ عليه قول اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، وقولُه ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، «فَهَذِهِ وأمثالها نُصُوص فِي مَعَانِيهَا سميت نصوصا لظهورها»(٢).

ومما سبق يتبيَّن رعاية حق حياة الإنسان في القرآن الكريم، وذلك في السنن الإلهية التي تجلت في محكم الآيات القرآنية، نصوصه، وقَصَصه، وأمثالِه، وأساليبِه، وأحكامه.

---

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٣٢/١، واللمع، للشيرازي، ص٤٨، والمستصفى، للغزالي٢٩٨/٢، والوَاضِح في أصُولِ الفِقه، لابن عقيل٨/٢.

(٢) التلخيص، للجويني١٨٢/١، وينظر: التقريب والإرشاد (الصغير)، للقاضي الباقلاني (ت٤٠٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م٣٦٨/٣، والمستصفى، للغزالي٢٠/٢.

المبحث الثاني
بناءُ الإنسانِ في القرآن الكريم

يتناول هذا المبحثُ الإنسانَ كما جاء في نصوص القرآن، وبناءَه في مبادئ القرآن، وأساليبِه، ومقاصدِه، وأحكامِه، ذلك في خمسة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الإنسان في نصوص القرآنِ:

تدور مادة الإنسان في لغة القرآن حول معنيين، هما الظهور، والنسيان، يقال: نَسِيَ فلانٌ شيئًا كان يَذْكُرُهُ، وإنّه لنسيٌّ، أي: كثير النّسيان، من قوله جلّ وعزّ في سورة مريم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾، وسمِّي الإنسان من النِّسيان، والإنسانُ في الأصل: إنْسيان، لأنّ جماعته: أناسيّ وتصغيرُه أُنَيسِيان[1]، وقد وردت مادة (أنس) في القرآن (٩٧) مرة[2].

وخلق الله ﷻ الإنسان لعبادته وحده لا شريك له، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وعمارة الأرض، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾﴾، وقد بيَّن الله ﷻ في كتابه العزيز للإنسانِ صفاتٍ، منها الفطريُّ، ومنها المكتسَب، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- صفات الإنسان الفطرية كما بيَّنها القرآن:

١- الضعف، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) ينظر: العين، للخليل بن أحمد٧/٣٠٤، ومقاييس اللغة، لابن فارس٥/٤٢١.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٩٣-٩٤.

٢- الفخر، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾.

٣- البخل، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾.

٤- الجدل، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.

٥- العجلة، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾.

٦- الظلم، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

٧- الـهَلَع، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾، والإنسانُ الهلوع «يعني الكافر خلق هلوعا، يقول: هو بخيل منوع للخير، جزوع إذا نزل به البلاء، فهذا الهَلُوع»(١).

٨- الطغيان، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة العلق: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) جامع البيان، للطبري ٢٦٦/٢٣، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي ٦٩٤/١٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٦١/٢٠.

٩- كفران النعمة، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة العاديات: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾، «أي: طبع الإنسان على كفران النعمة، قال ابن عباس: لكنود لكفور جحود لنعم الله»[١].

ثانيًا- صفات الإنسان المكتسبة كما بيَّنها القرآن الكريم:

الكفر، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥﴾، «يقول ﷻ ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه، مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه، لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حالَه»[٢]، وقوله ﷻ في سورة عبس: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾، يعني لعن الإنسان، أيُّ شيءٍ أكفره بالقرآن![٣].

١- الفجور، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة القيامة: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾، أي: «لا تلقى ابنَ آدمَ إلا تنزعُ نفسُه إلى معصية اللهِ «قُدُمًا قُدُمًا، إلا مَنْ قد عَصَمَ اللهُ»[٤].

٢- المخاصمة، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة النحل: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤﴾، يعني: «بَيِّنُ الخصومة، أي: فهو على مهانة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي٢٠/١٦٠، وينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٦٧٨، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي١٠/٢٧١.

(٢) جامع البيان، للطبري ٢٠/٥٦٢، وينظر: بحر العلوم، للسمرقندي٣/٢٥٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي٣/٢٦٧.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٣/٥٣٣، وجامع البيان، للطبري ٣/٣٣٣، وبحر العلوم، للسمرقندي٣/٥٢٥.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش١٢/٧٨٦٢، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي١٥/٩٩.

أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهو غاية المكابرة»[١]، وقوله ﷻ في سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾.

٣- اليأس، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة يس: فصلت: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾، «يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه»[٢].

ومن تدبَّر هذه الآيات القرآنية الكريمة وجد أنَّ على ولاةِ الأمور من المسؤولين والمشرِّعين والقضاة والمجتهدين أن يراعوا رعايةً ضروريةً هذه الصفات الإنسانية التي نصَّ عليها الله ﷻ؛ امتثالًا وتنزيلًا لقول الله تباركت أسماؤه في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

المطلب الثاني: بناءُ الإنسانِ في القيم القرآنية

الناظر في محكم القرآن يجد فيه القيم التي يقوم عليها حق الحياة، ومن هذه القيم القرآنية ما يأتي:

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٥٣٩-٥٤٠.

(٢) جامع البيان، للطبري٢١/٤٩٠، وينظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي٩/ ٩٥، ومدارك التنزيل، للنسفي٣/٢٤١.

١- قيمة العلم، من القيم الضرورية التي لها أثرها ودورها في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان قيمة العلم، ولجلاله وجماله ذكر الله مادته وتصريفاتها في كتابه العزيز ٧٧٨ مرة[١]، منها قول الله ﷻ في سورة المجادلة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾، والعلم النافع نورٌ من الله ﷻ؛ «فالعلمُ من شأنه أن يزيل ظلامَ العقولِ، ويمحو الجهلَ الذي هو ظلمةٌ في العقل تحجبُ عنه الحقائقَ، وتجعله عاجزًا عن فهم ما يدور حوله على محوٍ سليمٍ»[٢]، ويقرر قيمة العلم أول ما نزل من القرآن الكريم، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾؛ «فدل على كمال كرمه بأنه علَّم عباده مالم يعلموه، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلومُ ولا قُيدت الحِكَمُ، ولا ضُبطت أخبارُ الأوّلين ومقالاتُهم، ولا كَتَبَ اللهُ المنزلةَ إلا بالكتابةِ، ولولا هي لما استقامت أمورُ الدِّينِ والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حِكْمَةِ اللهِ تعالى ولطيفِ تدبيرِه دليلٌ إلا أَمْرِ القلمِ والخطِّ لكفى به»[٣]، كما استفاضت النصوص القرآنية في ذكر مواد القراءة، والكتابة، والمعرفة.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص٢٧٦.

(٢) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، هدية مجلة الأزهر، لشهر رمضان المبارك١٤٣٦ه، ص١٧٩.

(٣) الكشاف، للزمخشري ٧٨٢/٤، ومدارك التنزيل، للنسفي٢٨١/٤، والسراج المنير، للخطيب الشربيني٥٦١/٤.

٢- قيمة العمل، من القيم الضرورية في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان قيمة العلم؛ لأنَّه لا نفع للعلم بغير عملٍ نافعٍ؛ لذلك رفع الله شأن العمل والعاملين، وقد ذكر الله مادة العمل وتصريفاتها في كتابه العزيز (٣٤٥)مرة[١]، منها قوله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾، وقال الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾، وقال ﷻ في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾، ولا ريبَ في أهميَّة العمل لحياة الإنسان الدينية والدنيوية والأخروية، «والعمل أحد مسئوليات الإنسان الأساسية التي لا غنى عنها في هذه الحياة، وعلى الإنسان الذي يريد أن يعيش على هذه الأرض أن يعمل؛ من أجل ترقية الحياة فيها، ولا يجوز أن يكون طفليًّا عليها دون عملٍ، والمطلوب من كل فرد أن يقوم بالعمل الذي يتناسب مع قدراته البدنية ومواهبه العقلية»[٢]، وذلك ما ورد في الصحيحين عن عِمْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَا يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٣].

٣- قيمة الاستقامة، من القيم الضرورية التي لها أثرها العظيم ودورها الكبير في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان قيمة الأمانة؛ لذلك جعلها الله ﷻ آية قرآنيةً

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص٨٢٨.
(٢) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص١٨٣.
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}[القمر: ١٧]، حديث رقم (٧٥٥١)٩/١٥٩، كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، حديث رقم(٢٦٤٩)٤/٢٠٤١.

في فاتحة كتابه العزيز، كما جعلها دعاء كل مؤمن في صلاته في كل ركعة من ركعات صلاته، وقد ذكر الله مادة الاستقامة وتصريفاتها في كتابه العزيز (٦٦٠) مرة[١]، منها قوله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾، وقد «أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أنَّ الصراط المستقيم، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه»[٢]، كما جاء الإمر الإلهي بالاستقامة في كثير من الآيات البينات، منها قول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾ ، كما بشَّر الله ﷻ أهل الاستقامة، حيث قال ﷻ في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ ﴾.

٤- قيمة الأمانة، من القيم القرآنية الضرورية التي لها أثرها العظيم ودورها الكبير في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان قيمة الأمانة، وقد ذكر الله مادة الأمانة وتصريفاتها في كتابه العزيز (٨٧٩) مرة[٣]، منها قوله ﷻ في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨ ﴾، وقال ﷻ في سورة الأحزاب:

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم ص٩٨٨،٩٨٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ١/١٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٥٠، وفتح القدير، للشوكاني ١/٢٨.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم ٤/١٨٥-١٩٧.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾، وحق الإنسان في الحياة أمانةٌ، وبناؤه على الوجه الصحيح أمانة؛ لذلك «اهتم الإسلام بها اهتمامًا بالغًا إلى الحد الذي جعلها صِنوًا للدِّينِ وعلامةً على الإيمان، بمعنى أنَّ غيابَها يعني في الوقت نفسه غيابَ الإيمان، ولا غرابة في ذلك، فهما مشتقان من أصلٍ لغوي واحد»(١)، حتى جعل رسول الله الخيانة آية من آيات النفاق، وذلك قول النبي : «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢).

٥- قيمة الوفاء، من القيم القرآنية الضرورية التي لها آثارها الطيبة ودورها الأعظم في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان قيمة الوفاء، وقد ذكر الله مادة الوفاء وتصريفاتها في كتابه العزيز (٦٦) مرة(٣)، منها قوله ﷻ في صَدْرِ سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴿١﴾ ﴾، أي: العقود «التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به»(٤)، وحق الحياة وبناء الإنسان من الأمور التي يجب الوفاء بها، وقد أكد القرآن الكريم الأمر بالوفاء بالعقود، حيث قال اللهُ ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ

(١) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص١٨٣.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ، حديث رقم (٣٣)١/١٦، كتاب الإيمانبَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم (٥٩)١/٧٨.
(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٥٦، ٧٥٧.
(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية- القاهرة ١٢٨٥ هـ١/٣٥٠.

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾، وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾، ومن الوفاء رعاية حق الحياة وبناء الإنسان، وهو ضروريٌّ في هذه الرعاية وذلك البناء؛ ذلك بأنَّ لأنَّ: «الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور؛ وذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معًا، والغدر كذب بهما؛ لأن فيه مع الكذب نقض العهد»(١)؛ لذلك أوجب الشرعُ الوفاءَ بالعقود.

المطلب الثالث: بناءُ الإنسانِ في الأساليبِ العربية القرآنية:

يتجلى بناء الإنسانِ في أساليب القرآن، كالنداء، والأمر، والنهي، والتوكيد، والشرط، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- بناءُ الإنسانِ في أسلوب النداء في القرآن:

من تدبَّر نداء القرآن للإنسان استفاد منه رعايةً لبنائه، ومن ذلك وقولُ الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾، «حكم الصيام حكم عظيم من الأحكام التي شرعها الله تعالى للأمة، وهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها، وفي ذلك صلاح حال الأفراد فردا فردا؛ إذ منها يتكون المجتمع. وفصلت الجملة عن سابقتها للانتقال إلى غرض آخر، وافتتحت بيا أيها الذين آمنوا لما في النداء من إظهار العناية بما سيقال بعده»(٢).

وفي هذا النداء الإلهي تنبيهٌ إلى العبادة وما فيها من رعاية لبناء الإنسان روحيًّا وقلبيًّا ونفسيًّا وجسديًّا؛ ففي عبادة الله ﷻ صحة الأديان والأبدان.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهانى، ص٢٠٩.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور١٥٣/٢، وينظر: مفاتيح الغيب، للرازي٢٢٨/١.

وقوله ﷻ في صدر سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾، وفي معنى الرب ما يبعث العباد على الحرص في الإيمان بوحدانيته؛ إذ الرب هو المالك الذي يرب مملوكه، أي: يدبر شؤونه، وليتأتى بذكر لفظ الرب طريق الإضافة الدالة على أنهم محقوقون بتقواه حق التقوى، والدالة على أن بين الرب والمخاطبين صلة تعد إضاعة حماقة وضلالا، وأما التقوى في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾، فالمقصد الأهم منها: تقوى المؤمن بالحذر من التساهل في حقوق الأرحام واليتامى من النساء والرجال، ثم جاء باسم الموصول ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ الإيمان إلى وجه بناء الخير؛ لأن الذي خلق الإنسان حقيق بأن يتقى(١).

وقوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾، ويقال: «الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله أو يأكل مما يحل له أكله فوق القصد ومقدار الحاجة، وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم قد جمع الله الطب كله في هذه الآية»(٢).

ثانيًا- بناءُ الإنسانِ في أسلوب الأمر في القرآن:

يمكن استنباطُ بناء الإنسان في أوامر القرآن الكريم، ومن هذه الأوامر القرآنية قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور٨/٤.

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي٥١١/١، وينظر: مدارك التنزيل، للنسفي٤٦/٢.

وَلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ ﴿٢٣٣﴾﴾، أي: «الوالدات أحق برضاع أولادهن ما قبلن رضاعهن بما يعطى غيرهن من الأجر، وليس لوالدة أن تضار بولدها، فتأبى رضاعه مضارة، وهي تُعطى عليه ما يُعطى غيرُها، وليس للمولود له أن ينزع ولدَه من والدته ضرارًا لها، وهي تقبل من الأجر ما يعطي غيرها»[1]، وفي هذه الآية الكريمة رعاية لبناء الإنسان منذ ولادته.

وقوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، وفي هذه الآية الكريمة «أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ودلَّه عليها»[2]، وفي أخذ العفو «صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام وغض البصر، وفي الإعراض عن الجاهلين الحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه وعن منازعة اللجوج، وإنما سمي المعروف معروفا؛ لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه»[3]، وفي هذه الأوامر القرآنية التي مرَّ ذكرها بناءٌ للإنسان على الإيمان بالله ﷻ.

ثالثًا: بناءُ الإنسانِ في أسلوب النهي في القرآن:

نهى الله ﷻ عن أكل أموال الناس بالباطل وعن قتل النفس، ومن ذلك قول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

(١) جامع البيان، للطبري٥/٦٤، وينظر أحكام القرآن، للجصاص٢/١٠٦، وبحر العلوم، للسمرقندي٣/٢٨٨.

(٢) جامع البيان، للطبري١٠/٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/٣٦٨.

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي١/٥٩١.

﴿٢٩﴾، «وهو عموم النهي عن سائر وجوه التصرف في مال اليتيم من الديون والأعيان المأكول وغير المأكول، وشامل للنهي في أخذ أموال الناس إلا على وجه لتجارة عن تراض، وليس المأكول بأولى بمعنى الآية من غيره، وإنما خص الأكل بالذكر؛ لأنه معظم ما يبتغى له الأموال، إذ به قوام بدن الإنسان، وفي ذكره للأكل دلالة على ما دونه»(١).

وقوله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾، «وفى الحق إن هذه الوصايا الإلهية التي هي وصايا النبي صلى الله عليه وسلم يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني السليم، وبها تحارب الآفات الاجتماعية التي تتردى بها الجماعات في مهاوي التفرق والانحلال، فيها تطهر النفس والعقول من آفات الفكر، وتطهير المجتمع من التقاطع والتنابذ ومنع الاعتداء بأي نوع من أنواعه، وفيها التعاون على حماية الضعفاء، وفيها إعطاء كل ذي حق حقه، وفيه إقامة العدل في كل ضروبه الذي هو ميزان الحقوق والواجبات، وفيها الوفاء بالعهود الذي هو رباط الجماعات الإنسانية مهما تختلف أجناسها وشعوبها وقبائلها»(٢).

المطلب الرابع: بناءُ الإنسانِ على مقاصدِ القرآن:

تتجلى رعاية بناء الإنسان في مقاصد القرآن، وفي هذا المطلب قسمان، القسم الأول في المقاصد المنصوصة، والثاني في المقاصد المستنبطة، وذلك في فرعين:

---

(١) أحكام القرآن، للجصاص٣٥٢/٢، وبحر العلوم، للسمرقندي١٥٢/١.

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، دار الفكر العربي٢٧٢٧/١٠.

الفرع الأول: المقاصد القرآنية المنصوصة:

ثمة مقاصد قرآنية يتجلى في رعايتها بناء الإنسان:

أحدها: مقصد حياة الإنسان في سعادة:

قال اللهُ ﷻ في سورة طه: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، وفي سورة القصص: فمن حق أم سيدنا موسى عليه السلام في الحياة بوصفها إنسانة أن تحيا حياة آمنة سعيدة بعيدة عن الحزن وأسبابه، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (كي) التي وردت في الآيةِ الكريمةِ.

والناظر في الواقع المعاصر يجد لهذا المقصد الأسمى تطبيقاتٍ حديثةً، منها: وزارة السعادة التي أنشأتها دولة الإمارات العربية عام ٢٠١٦م، والبرنامج الوطني للسعادة وجودة الحياة الذي يتكون من ثلاثة محاور أساسية:

١-تضمين السعادة وجودة الحياة في سياسات، وبرامج وخدمات الجهات الحكومية كافة، وبيئة العمل فيها.

٢-ترسيخ قيم السعادة وجودة الحياة، باعتبارها أسلوب حياة في مجتمع دولة الإمارات.

٣-تطوير مقاييس وأدوات لقياس السعادة في مجتمع دولة الإمارات(١).

وقد نهجت السعودية المنهج نفسه، حيث أنشأت هيئة جديدة للسعادة متخصصة في تقديم وسائل لراحة المواطنين(٢).

---

(١) ينظر: https://u.ae/ البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، تاريخ الدخول في العاشرة ليلًا ٢٠٢٤/٣/١١م.

(٢) ينظر: https://www.alwatan.com.sa/، تاريخ الدخول في العاشرة ليلًا ٢٠٢٤/٣/١١م.

المقصد الثاني: حياة الإنسان في أمن اقتصادي:

قال اللهُ ﷻ في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾؛ فمن حقِّ اليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء بوصف كل واحد منهم إنساناً أن يحيوا حياة كريمةً، فاستفيد من ذلك مقصد الرواج، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (كي) التي وردة في الآية الكريمةِ.

المقصد الثالث: التيسير على الإنسان:

قال اللهُ ﷻ في سورة البقرة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾، وفي سورة النساء: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾، وهذا نصَّان في مقصد التيسير التخفيف؛ فمن حقِّ الإنسان أن يُيَسَّر عليه ما دام التيسير مباحًا متاحًا، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآيتينِ الكريمتينِ.

المقصد الرابع: العدل مع الإنسان:

قال اللهُ ﷻ في سورة آل عمران: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، وفي سورة غافر: ﴿مِّثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾، وهذانِ نصَّانِ في مقصد تحريم الظلم ووجوب العدل؛ فمن حقِّ الإنسان أن يعامل بالعدل، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآيتينِ الكريمتينِ، وكذلك قول الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَّيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾، وقول الله ﷻ في سورة الممتحنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾،

وهذان نصَّان في مقصد العدل، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يحبُّ) التي وردت في الآيتين الكريمتين، ورعاية حق الإنسان في الحياة وبنائه المراد واضح جليٌّ في الحكم بين الناس بالقسط، ويؤكد هذا قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

المقصد الخامس: تبيين الحقوق والواجبات والهداية للإنسان:

قال اللهُ ﷻ في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾، وهذا نصٌّ في مقصد التبيين والهداية؛ فمن حقِّ الإنسان أن يعرف حقوقه وواجباته، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآية الكريمة.

المقصد السادس: الإصلاح:

قال اللهُ ﷻفي سورة النساء: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ ، وفي سورة هود: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾، وهذانِ نصَّانِ في مقصد الإصلاح؛ وفي ذلك رعاية لحق الإنسان في الحياة وبنائه على فطرة الله ومراده، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآيتينِ الكريمتينِ، ويؤكد ذلك قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

المقصد السابع: التطهير والتزكية:

قال اللهُ ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾، وفي سورة الأحزاب: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، وهذان نصَّانِ في مقصد الطهارة والتزكية؛ وفي ذلك رعاية لحق الإنسان في الحياة وبنائه على فطرة الله ومراده، فضرورة الطهارة أو النظافة ظاهرةٌ لا خفاءَ فيها، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآيتينِ الكريمتينِ، ولا ريبَ أنَّ في تطهير الإنسان وتزكيته إصلاحًا لكلِّ شيء.

المقصد الثامن: إحقاق الحق:

قال اللهُ ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾، وهذا نصٌّ في مقصد إحقاق الحق؛ وفي ذلك رعاية لحق الإنسان في الحياة وبنائه على فطرة الله ومراده؛ لأنَّ رعاية هذا البناء الإلهي وذلك الحق الإنسان من إحقاق الحق، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يريد) التي وردت في الآية الكريمة.

المقصد التاسع: التقوى:

قال اللهُ ﷻ في سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾، وفي سورة التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُنَّقِينَ ﴿٤﴾﴾، وهذان نصَّان من نصوص القرآن في مقصد التقوى؛ رعاية لحقوق الإنسان عامة ولحقه في الحياة الآمنة وبنائه على فطرة الله ومراده خاصة؛ ولأنَّ رعاية هذا البناء الإلهي وذلك الحق الإنسان مظهرٌ من مظاهر التقوى، والعلة الشرعية في هذه الآية القرآنية منصوصة؛ دلَّ على ذلك كلمة (يحبُّ) التي وردت في الآية الكريمة.

المقصد العاشر: أداء الأمانات إلى أهلها:

قال اللهُ ﷻ في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾، وقال ﷻ في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾، ولا يخفى أنَّ حقَّ الإنسانِ في الحياةِ أمانة؛ ائتمنها الله للإنسان على نفسه، وعلى أخيه الإنسان؛ فمن الخيانة أن يعتدي الإنسان على نفسه باعتدائه على حياة، ومن الخيانة أن يعتدي على حق أخيه الإنسان في العدوان على حقِّه في الحياة التي لم يهبه له أحدٌ إلا الله ﷻ رب العالمين وخالق الناس أجمعين.

الفرع الثاني: المقاصد المستنبط صلتها بحق الحياة وبناء الإنسان:

الناظر المتدبر في آيات الذكر الحكيم يمكنه أن يستنبط مقاصد كلية يتجلى في رعايتها بناء الإنسان:

المقصد الأول: حفظ الدين:

حفظ الدين من المقاصد الضرورية، وذلك يعني أنَّه باستقامته تستقيم الحياة، ورعاية هذا المقصد الضرورية أساسٌ في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان؛ لأنَّ الدين هو الذي تقوم على رعايته الحقوق عامة، وحق الحياة خاصة، وهو الذي جاء بوجوب الإحسان إلى الإنسان، وحرية الاعتقاد، قال الله ﷻ في سورة

البقرة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾، وقال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾، وقال ﷻ في سورة الكافرون: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾، وحفظ هذا المقصد الضروري يعني تثبيت أركانه بإقامة العبادات؛ «فَأُصُولُ الْعِبَادَاتِ رَاجِعَةٌ إِلَى حِفْظِ الدِّينِ مِنْ جانب الوجود، كالإيمان وَالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ»(١).

وقد قال الإمام الغزالي: «مَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ...، وَهَذِهِ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ حِفْظُهَا وَاقِعٌ فِي رُتْبَةِ الضَّرُورَاتِ، فَهِيَ أَقْوَى الْمَرَاتِبِ فِي الْمَصَالِحِ وَمِثَالُهُ: قَضَاءُ الشَّرْعِ بِقَتْلِ الْكَافِرِ الْمُضِلِّ وَعُقُوبَةِ الْمُبْتَدِعِ الدَّاعِي إِلَى بِدْعَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا يُفَوِّتُ عَلَى الْخَلْقِ دِينَهُمْ»(٢).

المقصد الثاني: حفظ النفس:

كرَّم الله ﷻ الإنسان، وأمر بحفظ روحه؛ لذلك حرَّم العدوان عليه وإيذاءه، وغيبته، وقد «حفظ النفس بالقصاص»(٣)، وذلك بقوله ﷻ في سورة البقرة:

(١) المستصفى، للغزالي١/٣٢١، وينظر: الإحكام، للآمدي٣/٢٧٤، وشرح مختصر الروضة، للطوفي٣/٢٠٩، والبحر المحيط، للزركشي٣/٤٢.

(٢) المستصفى، للغزالي١/١٧٤.

(٣) شرح مختصر الروضة، ٣/٢٠٩، وتيسير التحرير، لأمير بادشاه ٣/٣٠٦، وتيسير الوصول إلى منهاج الأصول، لابن إمام الكاملية٥/٢٨٤.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

المقصد الثالث: حفظ العقل:

أوجب الله ﷻ حفظ العقل ورعايته، وحرم كلَّ ما يضرُّ به؛ لذلك قال الأصوليون: «حِفْظ الْعَقْلِ بِالِاحْتِرَازِ عَنْ الْمُسْكِرَاتِ»(١)، ومن أدلة ذلك قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

المقصد الرابع: حفظ المال:

حفظ المال من المقاصد الضرورية لرعاية حق الإنسان في الحياة وبنائه على الوجه الصحيح، وبقدر الخلل في رعاية هذا المقصد الضروري يكون الخلل في هذا الحق وذلك البناء، وقد ذكر الله ﷻ مادة المال وتصريفاتها في كتابه العزيز (٨٦) مرة(٢)، منها قوله ﷻ في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾، وفي السورة نفسها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾، ومن أجل حفظ المال شرع الله ﷻ حد السرقة، وذلك قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ

(١) المستصفى، للغزالي١/٣٢١، وينظر: الإحكام، للآمدي٣/٢٧٢، و شرح مختصر الروضة، للطوفي٣/٢٠٩، ومقاصد الشريعة، لابن عاشور٢/١٢٧.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله إبراهيم جلغوم، ص ١٠٢٣-١٠٣٣.

وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

المقصد الخامس: حفظ النسل والأنساب:

حفظ النسل والأنساب من المقاصد الضرورية لرعاية حق الإنسان في الحياة وبنائه على مراد الله ﷻ، وبقدر الخلل في رعاية هذا المقصد الضروري يكون الخلل في هذا الحق وذلك البناء؛ لذلك جاء في الشرع الحنيف «إِيجَابُ حَدِّ الزِّنَا إذْ بِهِ حِفْظُ النَّسْلِ وَالْأَنْسَابِ»(١)، ومن أدلة ذلك قول الله ﷻ في سورة النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

المقصد السادس: حفظ العرض:

أوجب الله ﷻ حفظ العرض وصيانته، وحرم كلَّ يعرضه للانتهاك أو للانتقاص والامتهان؛ لذلك قال الأصوليون: «حفظ العرض بحد القذف»(٢)، ومن أدلة ذلك قول الله ﷻ في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

المقصد السابع: التقوى:

التقوى هي «اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات»(٣)، وهي مقصد شرعيٌّ كليٌّ، بقدر تحقُّقه وتحقيقه تكون رعاية حق الحياة وبناء الإنسان،

---

(١) المستصفى، للغزالي١/١٧٤، وينظر: الإحكام، للآمدي٣/٢٧٤، والبحر المحيط، للزركشي٤/١٨٨، ومقاصد الشريعة، لابن عاشور٢/١٤٠.

(٢) شرح مختصر الروضة، ٣/٢٠٩، وينظر: أصول الفقه، لابن مفلح٣/١٢٨٣، ونفائس الأصول، للقرافي٧/٣٢٦١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٢٦٣.

وبغيابها لا يمكن أن يكون لهذا الحق وجود؛ لذلك ذكر الله ﷻ التقوى وتصريفاتها في القرآن الكريم (٢٥٨) مرة[١]، منها قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة طه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الزمر: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ولتقوى الله ﷻ في القرآن ثمراتٌ ربَّانيةٌ لا تكاد تحصى ينعم بها الإنسان في حياته، ومن هذه الثمرات:

١- هدايةُ الله ﷻ للإنسان التقي؛ فقد جعل الله ﷻ كتابه العزيز هدى للمتقين، وذلك قولُ الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾، والقرآن الكريم «لا ريب في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان»[٢].

٢- محبةُ الله ﷻ؛ فقد وجبت محبة الله ﷻ للوفي بعهده ولمن اتقى، وذلك قول الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة التوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾.

٣- رحمةُ الله ﷻ كتبها للذين يتقون، وذلك قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٥٨-٧٦١.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي ١/٦٠.

٤- تيسير أمر الإنسان التقي، وذلك قول الله ﷻ في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾.

٥- نجاة الإنسان من العذاب، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة الزمر: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١﴾.

٦- فوز الإنسان التقيِّ بالأمن والبشرى في الدنيا والآخرة، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾، وقوله في سورة النبأ: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥﴾.

المقصد الثامن: الرحمة:

الرحمة: «رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أنَّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف»(١)، والرحمة مقصدٌ شرعيٌّ عامٌّ في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان، والله هو الرحمن الرحيم الرؤوف الودود، والرحمة من صفاته العليا، وقد ذكر الله ﷻ الرحمة وتصريفاتها في القرآن الكريم (٣٣٩) مرة(٢)، منها قوله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾، وقوله ﷻ في

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ١/٣٩١.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٠٤-٣٠٩.

سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

المقصد التاسع: الشكر:

الشُّكْر هو: «عِرفانُ الإحسانِ ونَشرُه، وحَمْدُ مُوليهِ»[1]؛ لذلك كان ضروريًّا في رعاية حق الحياة وبناء الإنسان، وقد ذكر الله مادة الشكر وتصريفاتها في القرآن الكريم (٧٥) مرة[2]، منها قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾، وقوله تباركت أسماؤه في سورة النحل: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، وفي السورة نفسها: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الجاثية: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

المقصد العاشر: مقصد الهداية:

يقوم بناء الإنسانِ على مقصد الهداية الذي جاء به القرآن، والهداية في الاصطلاح هي: «الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك

---

(١) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(ش. ك. ر)، ٢٩٢/٥، وتهذيب اللغة، للهروي(ش. ك. ر)، ١٠/١٠.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم، باب الشين، ص٦٦٩-٦٧١.

طريق يوصل إلى المطلوب»[١]، وقد وردت مادة (ه د ي) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثمائة وست عشرة (٣١٦) مرة[٢]، منها قول الله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، وقول الله ﷻ في سورة البلد: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ إلى قوله ﷻ في السورة نفسها: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾، وإذا أقيم بناءُ الإنسان على هدى من الله فاز فوزًا عظيمًا، فمن ثمرات الهداية:

١- الأمن والسعادة، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة البقرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٨﴾، وقوله ﷻ في سورة طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣﴾.

٢- زيادة الهدى، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في سورة محمد: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧﴾.

٣- الفلاح، وذلك قولُ اللهِ ﷻ في عباده المتقين في صدر سورة البقرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾، والهداية هي هداية المعونة من الله ﷻ، وهي صراطٌ مستقيمٌ يوصّل الإنسان إلى كل خيرٍ.

المقصد الحادي عشر: العدل:

يقوم بناء الإنسان على مقصد العدل الذي جاء به محكم القرآن، ومن ذلك قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾، «والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمالُ الإنسان؛ فيعمَّ كلَّ ما به ذلك الكمالُ من إنارة العقول بالاعتقاد

(١) التعريفات، الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص٢٥٦.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٣١-٧٣٦.

الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمالِ الصالحةِ وإصلاحِ الفردِ والمجتمع، وما يتقوَّمُ به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة؛ فالشجاعةٌ حياةٌ للنفس، والاستقلالُ حياةٌ، والحريةُ حياةٌ، واستقامةُ أحوالِ العيش حياةٌ»(١).

وقوله ﷻ في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ﴿٥٨﴾﴾؛ «فأداء الأمانات وإقامة العدل يستقيم بهما أمر الناس، ويتعاونون فيما بينهم من غير شطط ولا مجاوزة للحد، ويكون المجتمع فاضلا»(٢)، وقوله ﷻ في السورة نفسها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ ﴿١٣٥﴾﴾، أي: «كونوا قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت له، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين في الرحم، أي: قولوا الحق ولو على أنفسكم بالإقرار أو الوالدين والأقربين، فأقيموها عليهم لله، ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره»(٣).

وقول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾، «ذكر الله ﷻ ما به غذاء الأبدان، وهو كل طيب لَا خبث فيه، ثم أشار إلى ما فيه غذاء الأرواح وطهارة الأبدان، وهو

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م٦٨/٩، وزهرة التفاسير، للشيخ أبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي٤/ ٢١٤١.

(٢) زهرة التفاسير، للشيخ أبي زهرة، ٥٠٤٩/١٠.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي٧١٢/١، وينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي– بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤ه.

الصلاة والوضوء لها، والاغتسال عند الإقدام عليها، فذكر الأطعمة الحلال، وذكر ما به بقاء أنس البشرى، وهو الزواج، ثم الوضوء وأركانه، والاغتسال والتيمم، وبعد أن ذكر ذلك الغذاء الفردي من جسم وروح ذكر الثمرة الطيبة لذلك، وهي بناء مجتمع إنساني سليم، أساسه الثقة والعدالة، وابتدأ ﷻ بذكر نعم الله، ثم بذكر العدالة التي هي قوام هذا الوجود الإنساني»(١).

وقوله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ ﴿١٥٢﴾﴾، «ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره»(٢)، وقوله ﷻ في سورة الرحمن: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾، يعني: لا تنقصوا حقوق الناس في الوزن، ولا تقولوا بغير حق(٣).

وقوله ﷻ في سورة الرحمن: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾، يقول الله ﷻ: «لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل»(٤).

المقصد الثاني عشر: الفلاح:

يقوم بناء الإنسان على مقصد الفلاح الذي جاء به القرآن، والمراد بمقصد الفلاح هو ما ذكره المفسرون في سياق تفسير قول الله ﷻ من صدر سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾، «والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من

(١) زهرة التفاسير، لأبي زهرة٤/٢٠٥٤.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري٩/٦٦٢.
(٣) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي٣/٣٧٩.
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري٢٣/٢٠٠، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي٥/٣٣.

المرهوب»[١]، وردت مادة (ف.ل.ح) ومشتقاتها في القرآن الكريم في (٤٠) أربعين موضعًا[٢]، وثمة كلمة أخرى هي (الفوز) [٣] مرادفة لكلمة الفلاح وردت ومشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وعشرين (٢٩) موضعًا، «والفلاح هو الهدف الذي ينادي به المؤذنُ المؤمنين خمس مرات في اليوم؛ مما يبرز أهمية الفلاح في المنظور الإسلامي للعالم»[٤]، كما وردت كلمة النجاة ومشتقاتها في القرآن الكريم في (٨٣) ثلاثة وثمانين موضعًا[٥]؛ ولا ريب أنَّ بناء الإنسان جزءٌ من هذا الفلاح، ويمكن تدبر الصلة بين بناء الإنسان والفلاح في آياتٍ من الذكر الحكيم، منها قول الله ﷻ في وصف المتقين في سورة البقرة: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾، وقول الله ﷻ في السورة نفسها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾، وقوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾، وقوله ﷻ في وصف المؤمنين في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، إلى قوله ﷻ في السورة نفسها: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(١) مدارك التنزيل، للنسفي ٤٥٨/٢، وينظر: مفاتيح الغيب، للرازي٢٨٧/٥، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٨٢/١.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص٥٢٦.

(٣) «الفوز هُوَ الْخَلَاص من الْمَكْرُوه مَعَ الْوُصُول الى المحبوب». الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص٢١٠.

(٤) الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة، لمحمد عمر شابرا، ترجمة/محمود أحمد مهدي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الله إبراهيم جلغوم، ص ١٣٠٧-١٣٠٩.

﴿١١﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة القصص: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾، وقوله ﷻ في سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾؛ فمن تزكى أنعم الله ﷻ عليه بالفلاح، وإذا اهتدى الإنسان فاز وصلح وأفلح، ورضي الله عنه وأرضاه، وأنعم عليه بالسعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وأصلح الله حالَه وباله.

المطلب الخامس: بناء الإنسان في أحكام القرآن:

تتجلى رعاية بناء الإنسان في رعاية أحكام القرآن، وفي هذا المطلب أحكامٍ ضرورية:

أحدُها: وجوبُ رعايةِ بناءِ الإنسانِ طفلاً:

ويتجلى ذلك الحكم الشرعي في رعاية الشارع الحكيم حق الطفل في الرضاعة، وذلك مستفادٌ من قول الله ﷻ البقرة: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾؛ ذلك «أنَّ الشارع الحكيم أوجب في بعض الأحوال على الأم إرضاع الولد إذا لم يقبل ثدي غيرها؛ خوفًا على هلاكه، كما أوجب على الأب أجرة الرضاعة للأم إذا كانت مطلقة وانقضت عدتها، وتبقى هذه الأجرة على الأب ما دام الطفل يرضع حتى يبلغ حولين كاملين، وبعد انقضاء الحولين لا يلزم الأب بأجرة الرضاع سواء فطم الطفل عن اللبن أو لم يفطم؛ لأنَّ هذه المدة هي نهاية الإرضاع»[(١)].

(١) حكمة التشريع وفلسفته، للشيخ/علي أحمد الجرجاوي، دار الفكر١٤٢٩ه/٢٠٠٩م، ٢/٧١.

الحكم الشرعي الثاني: وجوبُ الزكاة:

وفي ذلك الحكم الشرعي رعاية الشارع الحكيم لحق الإنسان الفقير أو المحتاج، وذلك مستفادٌ من قول الله ﷻ التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾، ومعروفٌ أنَّ في الزكاة المفروضة سعةً لهذه المصارف المذكورة في الآية الكريمة؛ مما يحقق للإنسان الأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي، وفي ذلك رعاية لبنائه النفسي والجسدي.

الحكم الشرعي الثالث: تحريم قطع الطريق:

ويتجلى ذلك الحكم الشرعي في رعاية الشارع الحكيم حق الإنسان في الأمن، وذلك مستفادٌ من قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾؛ ذلك «أنَّ قاطع الطريق يتسبب في تعطيل أكبر مصدر من مصادر الرزق وهي التجارة وتبادل المنفعة بين الناس والأمم المتجاورة والمتباعدة، فإذا ما تعطلت ساد الفساد وانقطعت عن الناس موارد الارتزاق»(١).

الحكم الشرعي الرابع: تحريم الزنا:

وفي ذلك الحكم الشرعي رعاية الشارع الحكيم لبناء الإنسان بحفظ نسبه، وذلك مستفادٌ من قول الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾، وفي سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا

(١) المرجع السابق، ٢/٢٠٧.

يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾، من أجل «التباعد عن الإصابة بالأمراض السرية المعدية، وهي الزهري والسيلان، والقرحة الرخوة العسرة البرء»(١).

الحكم الشرعي الخامس: تحريم السخرية:

وفي ذلك الحكم الشرعي رعاية الشارع الحكيم لبناء الإنسان بحفظ نفسه وعرضه، وذلك مستفادٌ من قول الله ﷻ في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾، وفي هذا التوجيه الإلهي رعاية للإنسان من العدوان بالقول أو حتى بالإشارة أو التلميح.

(١) المرجع السابق، ١٨٩/٢.

الخـــاتمة

أولا: أهم النتائج:

١- أنَّ حقَّ الإنسانِ في الحياةِ الآمنةِ الكريمةِ مقصدٌ كليٌّ من مقاصدِ القرآن الكريم.

٢- أنَّ بناءَ الإنسانِ إيمانيًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا هو أساسُ كلِّ بناءٍ؛ فمتى تمَّ ذلك البناءُ أثمر صلاحَ الإنسانِ والأسرة والمجتمع والدولة والأمةِ.

٣- أنَّ الـــمُرادَ بحقِّ الحياةِ في هذا البحثِ هو رعايةُ حقِّ الله ﷻ برعايةِ حقِّ الإنسانِ في حفظ الدينِ، والنفسِ، والعقلِ، والمالِ، والعرضِ، والنَّسْلِ، وأنَّ بناءَ الإنسانِ إنَّما هو ثمرةٌ من ثمراتِ هذه الرعايةِ لحقوق اللهِ ﷻ، وحقوق الناسِ.

٤- أنَّ الهدفَ الأصليَّ من رعايةِ حقِّ الحياةِ وبناءِ الإنسانِ في هذا البحثِ هو تفعيلُ الرعايةِ الشرعيةِ التي قررتها الآياتُ القرآنيةُ المحكمةُ وبيَّنتْها السُّنَّةُ النَّبويةُ الصَّحيحةُ بعد تدبُّرِ الأمورِ أو النظرِ في عَواقِبها.

٥- أنَّ حقَّ الحياةِ وبناءَ الإنسانِ يتجلى في عِرفانِ السُّننِ الإلهيةِ، ومقاصدِ القرآن الكريم، وأساليبِه، وقَصَصِه، وأمثالِه، وأحكامِه، وتفعيلِها ونشرِها.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١- تفعيلُ القوانينِ الشرعيةِ التي قررتها الآياتُ القرآنيةُ في المناهجِ الدراسيةِ في مراحلِ التعليمِ كلـــِّها.

٢- رعايةُ حقِّ الحياةِ وبناءِ الإنسانِ في المؤسساتِ التعليمية، والتشريعية، والدعويةِ، والاجتماعية، والصحية.

٣- نشرُ الوعيِّ الأسري والمجتمعي بأخطار إهمالِ حقِّ الحياةِ وبناءِ الإنسان، وتفعيل دورِ وسائلِ الإعلامِ في ذلك؛ ببيان منافع رعاية هذا الحقِّ وذلك البناءِ، كما قررها القرآن الكريم في محكم آياتِه.

٤- تعاونُ المؤسسات الشرعية والقانونية والدَّعوية والإعلامية والصحية على سَنِّ قوانين لرعايةِ حقِّ الحياةِ وبناءِ الإنسانِ تأسِّيًا بالسُّننِ الإلهيةِ والقوانين القرآنية.

٥- قراءة المناهج الدراسية قراءة نقدية؛ لتقريرِ صالحِها، وتغيير فاسدِها؛ ذلك بأنَّ مقصدَ الشريعةِ من التشريعِ تغييرٌ وتقريرٌ، تغييرُ الفاسدِ وتقريرُ الصالحِ.

٦- اعتبارُ رعايةِ حقوقِ الإنسانِ عامةً وحقِّه في الحياةِ وبنائه خاصةً مقصدًا معياريًّا، تُقاسُ به النُّظُمُ والمؤسساتُ والسياساتُ والتشريعاتُ.

قائمة المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، للجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، ت: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي-بيروت ١٤٠٥هـ.

٢- الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة، لجعفر بن محمد، ابن شمس الخلافة، مكتبة السعادة، ط: الأولى١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

٣- الإشارات الأصولية إلى المباحث الأصولية، للطوفي، دار الفاروق الحديثة، ط/ الثانية١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٥- الإمام في بيان أدلة الأحكام، للعز، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦- الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، هدية مجلة الأزهر، لشهر رمضان المبارك١٤٣٦هـ.

٧- بحر العلوم، لنصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي(ت٣٧٣هـ)، دار الفكر- بيروت، ت: د. محمود مطرجي.

٨- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان(ت٧٤٥هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط/١٤٢٠هـ.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠- تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١١-التحرير والتنوير، لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م٩/٦٨، وزهرة التفاسير، للشيخ أبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

١٢-تحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذي(توفي نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: حسني نصر زيدان، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

١٣-التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

١٤-التعريفات، الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥-تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

١٦-تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٧-التقريب والإرشاد (الصغير)، للقاضي الباقلاني (ت٤٠٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٨-تهذيب اللغة، الهروي (ت٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى٢٠٠١م.

١٩-تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول، لكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن إمام الكاملية» (ت٨٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخميسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠-الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري

(ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ت: د. مصطفى ديب البغا.

٢١-الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢٢-الحق في الشريعة الإسلامية، أد. محمد طَمـُوم، ط: الأولى – دار السلام ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٢٣-الحق والذمة وتأثير الموت فيهما وبحوث أخرى، للشيخ علي الخفيف، دار الفكر العربي ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢٤-الحقوق المالية ومدى جواز الاعتياض عنها مع تطبيقاتها المعاصرة، دراسة فقهية مقارنة، أد. علي محيي الدين القره داغي، دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢٥-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ت: مركز هجر للبحوث، دار هجر – مصر ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٦-الذخيرة، للقرافي، تحقيق: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٤م.

٢٧-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ١٢٨٥هـ.

٢٨-السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م.

٢٩-شرح مختصر الروضة، لنجم الدين الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٠-شفاء الغليل، لأبي حامد الغزالي، ت: د. حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد – بغداد، ط: الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٣١-فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٢-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى١٤١٤هـ.

٣٣-الفصول في الأصول، للجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٤-الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

٣٥-الكاشف عن أصول الدلائل، للرازي، ت: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل-بيروت، ط: الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٦-كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٧-الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٨-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي(ت ٤٢٧هـ)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٩-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٠-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت.

٤١-معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٢-معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٣-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث–القاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤٤-مفاتيح العلوم، للخوارزمي (ت٣٨٧هـ)، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط: الثانية.

٤٥-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة– ١٤٢٠هـ.

٤٦-مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق.

٤٧-مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط: الخامسة ١٩٩٣م.

٤٨-مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف، قطر١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤٩-مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٠-الموافقات في أصول الفقه، للشاطبي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

٥١-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٢-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش.

٥٣-الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، لابن عقيل (ت٥١٣هـ)، تحقيق: د. عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٤-الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)، ت: أد. حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٥٥-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى ت ١٧٠هـ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٨م.

٥٦-الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٥٧-الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، ت: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

٥٨-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**ملخص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	أهداف البحث
٤	حدود البحث
٥	مشكلة البحث
٦	منهج البحث
٧	خطة البحث
٨	**التمهيد**
٩	مفهوم الحق
١٠	مفهوم الحياة
١١	مفهوم البناء
١٢	مفهوم المقصد
١٣	**المبحث الأول: حق حياة الإنسان في القرآن الكريم**
١٥	المطلب الأول: حق الحياة في سنن الله تعالى في القرآن
١٦	المطلب الثاني: حق الحياة في مبادئ القرآن الكريم
١٧	المطلب الثالث: حق الحياة في القصص القرآني
١٨	المطلب الرابع: حق الحياة في الأمثال القرآنية
١٩	المطلب الخامس: حق الحياة في الأساليب العربية القرآنية
٢٠	المطلب السادس: حق الحياة في أحكام القرآن
٢١	**المبحث الثاني: بناء الإنسان في القرآن الكريم**
٢٢	المطلب الأول: الإنسان في نصوص القرآن

م	الموضوع

٢٣ المطلب الثاني: بناء الإنسان في القيم القرآنية
٢٤ المطلب الثالث: بناء الإنسان في الأساليب العربية القرآنية
٢٥ المطلب الرابع: بناء الإنسان على مقاصد القرآن
٢٦ المطلب الخامس: بناء الإنسان في أحكام القرآن
٢٧ الخاتمة
٢٨ المصادر والمراجع
٢٩ فهرس الموضوعات